BATMAN AKADEMİ DERGİSİ
Batman Üniversitesi İslami İlimler Dergisi
BATMAN ÜNİVERSİTESİ 2007
BATMAN ACADEMY JOURNAL
Batman University Journal of Islamic Sciences

e-ISSN: 2619-9114
June / Haziran 2023, Volume / Cilt 7, Issue / Sayı 1

تقسيم العلة النحوية بين المتقدمين والمتأخرين والمحدثين

NAHIV İLLETININ, MÜTEKADDIMÎN, MÜTEAHHIRÎN VE MODERN DILCILER TARAFINDAN SINIFLANDIRILMASI

The Division of the grammatical cause between the early, the late and the modern linguists

Suheyb MUHAMMEDOĞLU
Dr. (Arap Dili ve Belağatı)
abuyahya1409h@gmail.com
https://orcid.org/0000-0001-8033-5502

Article Information / Makale Bilgisi

Article Types / Makale Türü: Research Article / Araştırma Makalesi
Received / Geliş Tarihi: 06.04.2023
Accepted / Kabul Tarihi: 14.06.2023
Published / Yayın Tarihi: 30.06.2023
Pages / Sayfa: 111-123

Plagiarism / İntihal:

This article has been reviewed by at least two referees and scanned via a plagiarism software. / Bu makale, en az iki hakem tarafından incelendi ve intihal içermediği teyit edildi.

الملخص:
كما هو معلوم أن العلة النحوية نشأت مع نشأة النحو ذاته، ومرّت بمراحله، ونالت اهتماماً كبيراً من النحاة قديماً وحديثاً، واختلفوا فيها بين مؤيدين لها وللمنهج النحوي القائم على التعليل والتفسير، ومعارضين، وقسّمها النحاة تقسيمات عدة باعتبارات مختلفة، فمنهم من صنّفها حسب الغاية منها، ومنهم حسب طبيعة تأثيرها، ومنهم حسب طبيعة العلة نفسها، ومنهم حسب الصور التي استعملت فيها، وهكذا دواليك. ففي هذه الدراسة تَتَبَّعْتُ هذه التقسيمات، وتناولْتُ كل واحدة منها على حدة، مبيناً ما لها من ميزات وخصائص، وما عليها من الإشكالات والانتقادات التي يمكن أن تعترضها، بعد أن عرضت لمفهوم العلة وأهم مراحلها، وأَضَفْتُ تصنيفين جديدين على ما لدى النحاة فكان التصنيف الأول: من حيث الاتفاق والاختلاف؛ أي العلل المتفق عليها، والعلل المختلف فيها، والتصنيف الثاني: من حيث الأحكام الرئيسية والأحكام الثانوية، أي العلل الأصلية التي أتى بها النحاة لتعليل المسائل الأصلية، والعلل الفرعية التي أتى بها النحاة لتعليل المسائل الفرعية، وبيَّنْتُ أهمية هذين التقسيمين في العملية التعليمية.
الكلمات المفتاحية: العلة، النحو، التقسيمات، المتقدمين، المحدثين.

Öz: Bilindiği gibi nahiv illetleri nahvin doğuşu ile birlikte ortaya çıkmış ve bazı aşamalardan geçmiştir. Bu konu mütekaddimîn ve modern nahiv uzmanları tarafından büyük ilgi görmüştür. Nahivciler, nahiv illetlerinin ta'lîl ve yoruma dayalı nahiv yöntemini destekleyenler ile buna muhalefet edenler olarak iki gruba ayrılmışlardır. Nahivciler illetleri farklı açılardan birkaç kısma ayırmışlardır. Bazıları onu amacına göre, bazıları etkisinin tabiatına göre, bazıları illetin mahiyetine göre bazıları da kullanıldıkları biçimlere göre vb. sınıflara ayırmışlardır. Çalışmamızda, bu tasniflerden herbiri ayrı ayrı incelenmiş; sahip oldukları özellik ve ayrıcalıkları, maruz kalabilecek sorun ve eleştirileri irdelenmiştir. Bunun ardından illet kavramını ve en önemli aşamalarını ele alınmıştır. Nahivcilerin kabul ettiklerine ilave olarak iki yeni kısım daha ekledim. Bunlardan Birincisi: İttifak ve ihtilaf yönünden illetler; yani müttefekun aleyh ve muhtelefün fih olan illetler. İkincisi: Ana hükümler ve ikincil hükümler yönünden illetler; yani nahivcilerin asıl meseleleri açıklamak için ortaya koydukları orijinal illetler ve fer'i konuları açıklamak için ortaya attığı ikincil illetler. Son olarak bu iki sınıflandırmanın eğitim sürecindeki önemini açıkladım.
Anahtar Kelimeler: İllet, Nahiv, İllet Sınıflandırmaları, Mütekaddimîn, Modern Dilciler.

Abstract: As it is known that the grammatical cause arose with the emergence of grammar itself, and passed through its stages, and it received great attention from grammarians, ancient and modern. And they differed between supporters of it and the grammatical approach based on reasoning and interpretation, and opponents. Grammarians divided it into several divisions according to different considerations. Some of them classified it according to its purpose, some according to the nature of its effect, some according to the nature of the cause itself, and some according to the forms in which it was used, and so on. In this study, I traced these divisions, and dealt with each of them separately, showing its advantages and characteristics, and the problems and criticisms that it could encounter. After presenting the concept of the cause and its most important stages, and I added two new classifications to what the grammarians have. The first was: in terms of agreement and disagreement; That is, the causes that are agreed upon, and the causes that are in dispute. The second: in terms of the main rulings and the secondary rulings, that is, the original causes that the grammarians came up with to explain the original issues, and the secondary causes that the grammarians came up with to explain the sub-issues, and I showed the importance of these two divisions in the educational process.
Keywords: causes, grammar, divisions, early linguists, modernists.

تمهيد:

كما هو معلوم أن الإسلام حث اتباعه على التفكر والتدبر في مخلوقات الله سبحانه وتعالى؛ لما يتجلى فيها من عظمة الله وكمال قدرته؛ فالخلق يدل على الخالق والسبب يدل على المسبب؛ لذا حضت آيات كثيرة في القرآن الكريم على إعمال العقل والنظر في هذه الأجرام الجسام في السموات، والأجسام العظام في الأرضين، والأجهزة الدقيقة في جسم الإنسان؛ فكان الاهتمام بالتفسير والتعليل والبحث عما وراء الظواهر ظاهراً جلياً؛ لذلك حدثت ثورة علمية عظيمة في العصور الأولى من ظهور الإسلام حيث نفر كل طائفة إلى التخصص بفن معين فأبدع بعضهم في الأحكام العملية للإسلام، وانبرى أخرون في الدفاع عن الإسلام بالتصدي للأفكار المناهضة له وأثبات العقائد الإسلامية بالبراهين والأدلة العقلية، واهتمت طائفة أخرى بالحديث النبوي دراية ورواية، ونهضت جماعة أخرى للحفاظ على لغة القرآن الكريم بعد أن شاع اللحن وانتشر فأمعنوا النظر في اللغة فقاسوا الشبيه على الشبيه والنظير على النظير فوضعوا بذلك قواعد وضوابط للظواهر اللغوية معللين إياها بعلل شتى؛ بين قوية وضعيفة، بسيطة ومركبة، واجبة وجائزة، تعليمية وقياسية وجدلية فأخذوها رياضة ذهنية؛ لبيان قدراتهم وإضعاف مذاهب الخصوم والرد عليهم حتى أصبحت حاكمة للقواعد ومنشأة لها بعدما كانت بسيطة لغايات تعليمية للمتعلمين أو وصفية لقواعدهم اللغوية، فعظم شأن العلة وعلت مكانتها فأخذت حيزاً كبيراً من جهود العلماء فأفردوها بالتصنيف والتأليف وقاموا بتقسيمها -منذ العصور الأولى إلى أيامنا هذه- إلى أنواع مختلفة وتصنيفات عدة، وفي هذا البحث سنتناول تلك التقسيمات بعرضها وبيان ما لها من ميزات وخصائص وما عليها من الإشكالات والاعتراضات بعد تمهيد نعرف فيه العلة ونتناول نبذة عن تاريخها ومراحل تطورها.

مفهوم العلة وتاريخها ومراحل تطورها

جاءت العلة في معاجم اللغة دالة على عدة معان[1]: منها المرض والحدث الذي يشغل صاحبه، والسبب، والذَّي يهمنا في هذا البحث هو معنى السَّببية؛ لأنَّه يتعلق بالمعنى الاصطلاحي للعلة، وعند إمعانِ النَّظر يُلاحظُ أيضاً أنَّ هناك صلةً قويةً بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي للعلة -غير السببية- وهي القيام بعمل ما مرةً تلو الأخرى، وهذا ما يحتاج إليه الباحثون غالباً لاستنباط العِلَّة، فلا يمكن استخراجُها إلا بعد معاودة النظر في المسائلِ النَّحْوية والوقوفِ عندها والتدقيقِ فيها.

وأما اصطلاحاً: يعد الزجاجي (ت: ٣٣٧ هـ) أول من تناول ماهية العلة محاولاً بيان طبيعتها بأنها ليست علة موجبة وإنما هي التي يستنبطها النحاة عن طريق القياس[2]، وإن كانت هذه ليست بحد للعلة عند أهل الاصطلاح فهي تقريب لمفهومها باستنباطها من كلام العرب بعد نظر عميق وتمحيص دقيق لظواهرها وقياس الشبيه على الشبيه. والذي يمعن النظر في المصادر النحوية يلاحظ بوضوح عدم اهتمام النحاة المتقدمين بوضع حد للعلة رغم عنايتهم بتعليل الظواهر النحوية.

ونجد من المحدثين من حاول أن يضع حداً لها ومن بينهم مازن المبارك الذي عرّف العلة بقوله: "هي الوصف الذي يكون مظنة وجه الحكمة في اتخاذ الحكم[3]" وليس تعريفه إلا نسخ لتعريف الأصوليين للعلة، ويُعَرِّفُهَا عبد القادر المهيري بأنها: "مجموعة من الضوابط يستنبطها النَّحْوي أو يفترضها قصد تفهم ما يمكن أن نسميه اليوم نظام اللغة العربية وتناسق عناصرها"[4]. وهذا تعريف وجيه لأنّ العِلَّة هي أساس نظرية العامل التي تُعَدُّ عماد النَّحْو وأساسه، وقد وصل النُّحَاة إليها بعد استقراء النصوص واستنباط القواعد، واستخراج الضوابط، والغاية منها فهم نظام التراكيب العربية وكشف ما بينها من علاقات وارتباطات.

ما قام به النُّحَاة من التَّعْلِيل للظواهر اللغوية والقواعد النَّحْوية وما اعتمدوا عليه في مناهج تفكيرهم، لم يخرجوا به على الأصل الذي يقوم عليه التَّعْلِيل في العلوم كافَّة، وهو نتيجة اقتران ظاهرتين وجوداً وعدماً، فَيُعَدُّ إحداهما عِلَّةً لِلْأُخرى[5].

لذا ليست العلة بِدْعاً من النُّحَاة، وليست حكراً عليهم، وقد سبقهم إليها المتكلمون والأصوليون، فلم يكن للنُّحَاة مفرٌّ من استخدامها في عملية بناء هذا الفن؛ ليفسروا بها الظواهر اللغوية ويجيبوا عن تساؤلات الدارسين للغة؛ لأن "النفوس تأنس بثبوت الحكم لعلة، فلا ينبغي أن يزول ذلك الأنس"[6].

لهذا نشأ التَّعْلِيل بنشأة النَّحْو، وجاء الأول منهما مسانداً للثاني في دعم القاعدة النَّحْوية، وتفسيرها تفسيراً أولياً، وبعد أن نضج النَّحْو أخذ النُّحَاة يتعمقون في تفسيراتهم لظواهره وقواعده[7].

فكان التأريخ للنَّحْو تأريخاً للعلة أيضاً فقد مرّت بمراحل النَّحْو ذاتها، وتطورت بتطوره، وهي من النَّحْو بمنزلة الجزء من الكل، والفرع من الأصل، لأن التَّعْلِيل يُمَثِّلُ "ركناً من أهم أركان الدرس النحوي لدى العرب، وكان يُعدُّ من أصوله الأولى، فتطور إلى أن غلب الفكر النحوي كلِّه[8].

مراحل العلة

---

1 إسماعيل بن حماد الجوهري، **الصحاح**، تح: أحمد عبد الغفور(بيروت؛ دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٨٧م)، ٧٤/٧- علي بن محمد الشريف الجُرْجاني، **التعريفات**، تح: إبراهيم الأبياري (بيروت؛ دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٠٥هـ)، ١٠٤.

2 عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، **الإيضاح في علل النَّحْو**،(بيروت؛ دار النفائس، ط٣، ١٩٧٩م)، ٦٤.

3 مازن المبارك، **النَّحْو العربي العلة النَّحْوية نشأتها وتطورها** (بيروت؛ دار الفكر، ط٣، ١٩٨١م)، ٩٠.

4 عبد القادر المهيري، **نظرات في التراث اللغوي العربي** (بيروت؛ دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٩٣م)، ١١٨.

5 منى إلياس، **القياس في النَّحْو**(دار الفكر، ط١، ١٩٨٥م)، ٤٧.

6 عبد الله بن الحسين العُكْبَرِيّ، **التبيين عن مذاهب النحويين**، تح: عبد الرحمن، بن سليمان العثيمين (بيروت؛ دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٨٦م)، ١٨٩.

7 علي أبو المكارم، **أصول التفكير النَّحْوي** (القاهرة؛ دار غريب، ط١، ٢٠٠٦م)،١٥١. وحسن خميس سعيد الملخ، **نظرية التَّعْلِيل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين** (عمان؛ دار الشروق، ط١، ٢٠٠٠م)، ١٦.

8 ٥١١/١. محمد عبد الفتاح الخطيب، **ضوابط الفكر النَّحْوي** (القاهرة؛ دار البصائر، د.ط، ٢٠٠٦م)،

المرحلة الأولى: النشأة

بعد أنْ توسعت الفتوحات الإسلامية واختلط العرب بغيرهم من الأقوام، وضعفت السليقة عندهم وفشا اللحن في كلامهم أدرك العلماء "خطر الانحراف عن سنن العرب في كلامهم"[٩] وضرورةَ التصدي لهذه الظاهرة باستنباط القواعد والقوانين التي تساعد الناس على الحفاظ على سلامة نطقهم واستقامة كلامهم، ولا سِيَّمَا الأعاجم الذين اتَّخذوا الإسلام ديناً، وأرادوا تعلم اللغة العربية لفهم دينهم[١٠].

ومن جملة ما وصل إلينا من الروايات التي تؤَكِّدُ ظهور اللحن في صدر الإسلام ما رُوِيَ عن ابنة أبي الأسود الدؤلي (ت: ٩٦هـ) حين قالت: "يا أبت، ما أشدُّ الحرّ!" بالرفع[١١] وهي تريد التعجب، فأجابها والدها، وهو يظنُّ أنَّها تسأل، فردت أنَّها لا تسأل بل تتعجب، وقال رجل آخر: "ماتَ أبانا وترك بنون"[١٢].

لذا تناول العلماء المتقدمون ظواهر النَّحْو وتراكيبها بوضع قواعدَ وأحكاماً لها، لحماية الألسُنَ من الزلل واللحن، وكان لا بُدَّ - وهم يضعون القواعد-أن يبرروا لها من خلال إعمال الفكر فيها، واستنباط عللها والبحث عن أسبابها التي تستند إليها، فمن هنا نشأ التَّعْلِيل في النَّحْو.

تُعَدُّ هذه المرحلة مرحلة استكشاف الظواهر النَّحْوية، وهي تبدأ من عهد أبي الأسود الدؤلي حتى عهد الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت: ١٧٥هـ)[١٣] "الذي يمكن أن يطلق عليه-دون تَجَوُّزٍ كبيرٍ- قِمَّة التَّعْلِيل في النَّحْو في هذه المرحلة وخاتمته معاً؛ إذ استطاع أن يستنبط من علل النَّحْو ما لم يستنبط أحد، وما لم يسبق إليه"[١٤].

وقد كان التَّعْلِيل في هذه المرحلة بسيطاً- كأي مصطلح علمي آخر يبدأ بمدلول بسيط، ومفهوم ضيق، ثم يتطور خلال مراحل، فتتسع دائرته ويتغير مفهومه، وتتكامل أركانه؛ ليكون مصطلحاً علمياً واضح الأبعاد-لا يتجاوز البحث عن الأسباب الكامنة وراء ما يضعه النُّحَاة من القواعد النَّحْوية أو يكتشفونه من الظواهر اللغوية، من غير أن يكون له دور محوري أو يكون عنصراً أساسياً في الدرس النَّحْوي.

وقد لخص لنا الخليل طبيعة هذه المرحلة حين سئل عن العِلَل التي يعتل بها بأن العرب تنطق على السجية والطبع، وما اعتلاله إلا عن طريق الاستنباط والاستنتاج والتأمل في كلامهم، ويحتمل الصواب والخطأ، وقد ضرب مثلاً من الحسّ لاعتلاله لكلام العرب حين شبَّه نفسه برجل حكيم دخل داراً محكمة البناء عجيبة النظم، وتيقن أنَّ بانيها ذو حكمة وعلم، فأصبح يقلب نظره إلى ما فيها من الأشياء المحكمة، فحاول أنْ يأتي بتعليل لكل ما في الدار من التنظيم الدقيق والتخطيط المحكم، وأنْ يجد الأسباب التي جعلته يضع كل شيء وفق هذا التنسيق العجيب، فانتهى إلى أنَّه فعل هذا هكذا لعلة كذا، ثم ذكر بأن هذه العِلَل محتملة للخطأ والصواب، ومن سنح له علة أليق بالمعلول بما ذكرته فليأت بها[١٥].

المرحلة الثانية: النمو والارتقاء

وكان بداية هذه المرحلة من تلاميذ الفراهيدي حتى نهاية القرن الثالث وأوائل القرن الرابع الهجريين، وتنتهي بالزَّجَاج(ت: ٣١١هـ)، ليشمل قرابة قرن ونصف قرن[١٦].

هذا، وقد كان للتفرغ من تقعيد القواعد وتقنينها أثر كبير في انتشار العلة في هذه المرحلة، حيث رغب النُّحَاة عن البحث في تقعيد القواعد النَّحْوية والظواهر اللغوية؛ وذلك لأنها أصبحت مكتملة الأركان وواضحة المعالم، "مما أتاح لهم أن يشغلوا بهذا الجانب الجديد من جوانب البحث النَّحْوي، وهو التَّعْلِيل لما هو موجود في اللغة وما هو مقنن في القواعد معاً"[١٧].

بعد أن أحصى العبيدي ورود مصطلح العلة في كتاب سِيْبَوَيْه وجده مذكوراً في ثمانية وعشرين موضعاً، فقال: "ورد مصطلح علة في كتاب سِيْبَوَيْه ثمانياً وعشرين مرة..."[١٨].

مما سبق يتبيَّنُ أنَّ العلة في هذه المرحلة غدت مصطلحاً مستقرّاً عند النُّحَاة، وقام عليها التقعيد النَّحْوي.

ولعلَّ الذي دفع المؤرخين للنَّحْو وتاريخه في جعل عصر سِيْبَوَيْه بداية لمرحلة جديدة من مراحلها هو عظيم ما قام به سِيْبَوَيْه من تنظيم للنَّحْو، وتقسيم لموضوعاته، وتبويب لأحكامه مع العِلَل المؤيدة لها، وجمع لآراء من سبقه من النُّحَاة، فكان كتابه الموسوم بـ (الكتاب) قرآنَ النَّحْو، ودستور النُّحَاة، وإعلاناً لانتهاء مرحلة البناء، وإيذاناً لمرحلة التطور والارتقاء، وهو حقيق بذلك.

---

9 سعيد الملخ، **نظرية التَّعْلِيل**، ٣٦. عفيف دمشقية، **تجديد النَّحْو العربي** (لبنان؛ معهد الإنماء العربي،١٩٨١م)، ٩٣.

10 عفيف دمشقية، **تجديد النَّحْو العربي** (لبنان؛ معهد الإنماء العربي،١٩٨١م)، ٩٣.

11 السيرافي، الحسن بن عبدالله، **أخبار النحويين البصريين**، تح: طه محمد الزيني- محمد عبد المنعم خفاجي (القاهرة، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ط١، ١٩٥٥م) ١٤.

12 المصدر نفسه، ١٣.

13 أبو المكارم، **المدخل إلى تاريخ النَّحْو العربي**، ١٦٧.

14 أبو المكارم، **أصول التفكير النَّحْوي** ١٥٢.

15 الزجاجي، **الإيضاح في علل النَّحْو**، ٦٥-٦٦.

16 أبو المكارم، **أصول التفكير**، ١٥٦.

17 أبو المكارم، **أصول التفكير**، ١٥٨.

18 شعبان العبيدي، **التَّعْلِيل اللغوي في كتاب سِيْبَوَيْه** (بنغازي ليبيا؛ دار الكتب الوطنية، ط١، ١٩٩٩م)، ٨٤.

ومن تعليلات سِيْبَوَيْه قوله: "لأنَّ النكرةَ أوَّلُ ثم يدخل عليها ما تُعرَّف به"[١٩]، فقد جعل النكرة أصلاً، والمعرفة فرعاً عليها، فمسألة الأصل والفرع في النَّحْو العربي في غاية الأهمية، بل تكاد تكون الأساس الذي بني عليه النَّحْو العربي، والناظر إلى تعليلات سِيْبَوَيْه وأستاذه الخليل يرى اهتمامهما بالمعنى، وقياس الشبيه بالشبيه، وحمل النظير على النظير.

والحاصل أنَّ العِلَّةَ في هاتين المرحلتين قد كانت مستمدَّةً من روح اللغة، ومستندة إلى النصوص والشواهد شعراً أو نثراً من حيث الدليل والبرهان، ومعتمدة على الحسّ والفطرة وبعيدةً عن المنطق والفلسفة.

المرحلة الثالثة: النضج والازدهار

بدأت هذه المرحلة بابن السَّرَّاج(ت ٣١٦هـ) أي من أوائل القرن الرابع الهجري حتّى بداية القرن السابع الهجري، تُعَدُّ أهمَّ مرحلة من مراحل العلة؛ لما طرأ على العلة من تغييرات كبيرة من ناحية المنهج أولاً، ومن ناحية علاقته بالظواهر النَّحْوية ثانياً.

ويرى أبو المكارم أنَّ كل هذا التَّغير كان نتيجة لتفاعل عاملين أساسين:

الأوَّلُ منهما: هو الثورة الثقافية، بعد أنْ سيطر العباسيون على الحكم جرى تحولات ثقافية في المحيط العربي وذلك نتيجة اتصال الفكر العربي بالفكر الإنساني عن طريق الترجمة إلى اللغة العربية على نطاق واسع، مما أتاح للمثقفين والعلماء أن يطَّلِعُوا على الثقافات المختلفة ويأخذوا منها ويتأثروا بها، وقد "تركت آثارها في مناهج هذه الثقافة، وساعدت على تعدد المناهج وتنوعها بما أذكت بين فروعها من خلاف"[٢٠]، وهذا لا يعني أن الترجمة لم تكن موجودة في العصر الأموي، إلا أنها لم تحدث تغيُّراً يُذْكَر في الفكر الإسلامي بعامة والعلوم العربية بخاصة؛ لأنَّها كانت محدودة النطاق، ومحصورة في بعض الفنون العلمية، وكذلك لم يتحمَّس لها العلماء بل أخذوا مواقف معادية من الترجمة وكانوا حريصين أنْ يبقوا بعيدين عنها، ولكن تغير الوضع بتغير الحكم السياسي بانتقاله من الأمويين إلى العباسيين الذين فتحوا باب الترجمة على مصراعيه لترجمة مُوَجَّهَةٍ ومُقَنَّنَةٍ، حتى يُشْغِلُوا العلماءَ والخواصَ بالمعارك الفكرية والثقافية باستقطاب جهودهم وطاقاتهم في الخلافات العلمية، وبهذا تشغلهم الدولة عن المشاكل الداخلية والأوضاع الاجتماعية، "إذ كانت(الترجمة) تخضع لما يصح أن يطلق عليه بشيء من التجوز قليل بأنَّه تخطيط من جانب الدولة في اختيار المترجمات"[٢١].

أمَّا العامل الثاني: هو التطور الطبعي للتَّعْلِيل، فإنَّ التَّعْلِيل كان في المرحلة الأولى بسيطاً ومتناولاً لجزئيات صغيرة، ومن ثُمَّ تطور إلى محاولات للخروج من الجزئية إلى الكلية وربط بين أجزائها الصغيرة للوصول إلى قضية كلية، لكنه ظلَّ مع ذلك محترماً للقواعد النَّحْوية ومُفَسِّراً لها دون أن يتجاوز ذلك[٢٢]، وفي هذه المرحلة تطورت العلة ودخلت مرحلة جديدة أصبحت فيها مُؤَثِّرةً في القواعد، لا مُفَسِّرةً ومبررةً لها كما كانت من قبل، بل انتقل التَّعْلِيل من التابع للقواعد إلى المتبوع "فيتصور ما يشاء من ظواهر ثم يبني عليها ما يريد من قواعد، وبهذا تنقلب العلاقة بين التَّعْلِيل والتقعيد"[٢٣].

ولهذا كان الربط بين العِلَل والأحكام من جهة، والتنسيق بين العِلَل النَّحْوية نفسها من جهة أخرى أهمَّ ما كان يهدف إليه التَّعْلِيلُ في هذه المرحلة.

المرحلة الرابعة: المراجعة والاستقرار

بعد أنْ مرَّت العِلَّة بمراحل كثيرة وأصابها التطور كمَّاً ونوعاً، وظهر في المرحلة السابقة اتجاهان متناقضان في النظر إلى العلة-كما يرى سعيد الملخ-، وانقسم النُّحَاة إلى مؤيد ومعارض فيما حدث لها من تغير نوعي كاد يطغى على الدرس النَّحْوي بأكمله، وقد أُدْرِكَ في هذه المرحلة-مرحلة الاستقرار- ثراء من المادة اللغوية والقواعد النَّحْوية والتَّعْلِيلات المتنوعة، حيث لا مزيد لمستزيد فيه إلا ما ندر؛ لذلك نحا العلماء منحىً مغايراً إذ كان معظم النُّحَاة يميلون إمَّا إلى جمع ما يستطيعون الوصول إليه من العِلَل ومن ثُمَّ الترجيح في مجلدات كبيرة كشرح الكافية للرضي الإستراباذي، وهمع الهوامع للسيوطي، وإمَّا إلى اختيار ما يناسبهم من العِلَل وترك البقية دون ذكرها مثل كتاب الكافية لابن الحاجب، وكتاب قطر الندى لابن هشام[٢٤].

تقسيمات العلة

في كل مرحلة من هذه المراحل التي مرت بها العلة -عبر تاريخها الطويل- حاول النحاة تقسيمها تقسيمات متعددة وفق تصنيفات مختلفة، ومن أهمها:

التقسيم الأول: تصنيف العلة حسب الغاية منها

وهو الذي نجده عند ابن السَّرَّاج الذي يُعَدُّ أوَّلَ مَنْ تطرق إلى أنواع العلة بتقسيمها قسمين باعتبار الغاية:

الأول: ما يُؤَدِّي إلى كلام العرب مثل: كل مبتدأ مرفوع، وكل مفعول به منصوب.

---

19. سِيْبَوَيْه، عمرو بن عثمان، **الكتاب**، تح: عبد السلام هارون (القاهرة؛ مكتبة الخانجي، ط٣، ١٩٨٨م)، ٦/١.
20. أبو المكارم، **أصول التفكير النَّحْوي**، ١٦٤.
21. أبو المكارم، **أصول التفكير النَّحْوي**، ١٦٥.
22. المبارك، **النَّحْو العربي والعلة النحوية**، ٩٨.
23. ابو المكارم، **أصول التفكير النَّحْوي**، ١٦٩.
24. سعيد الملخ، **نظرية التَّعْلِيل**، ٨٢، وتمام حسان، **اللغة العربية معناها ومبناها** (المغرب الدار البيضاء؛ دار الثقافة،١٩٩٤م)، ١١.

والثاني: يُسَمَّى عِلَّة العِلَّةِ، كقولهم: لِمَ صار المفعول به منصوباً والفاعل مرفوعاً؟ ويرى أنَّ هذا القسم لا نتعلَّمُ منه الكلام الفصيح، والنطق الصحيح[٢٥].

لقد مَيَّزَ ابن السَّرَّاج بين العِلَل النَّحْوية بجعلها على ضربين؛ وذلك بِنَاءً على الغاية التي يهدف إليها كلٌّ منهما؛ فالأول: غايته هي تعلم كلام العرب ببيان القواعد والقوانين النَّحْوية.

ويندرج ضمن هذا النوع كل الأحكام والقواعد النحوية العامة فقولك: كل حالٍ منصوب، وكل مبتدأ مرفوع، والأصل في الحروف بناء، والأصل في البناء السكون، وفعل الماضي مبني، والمضارع معرب في أغلب أحواله وهكذا دواليك...لا يخرج من النوع الأول لدى ابن السراج وهو في الحقيقة ليس بعلة إلا من باب المجاز فهذه أحكام وقواعد نحوية لاحظها النحاة من خلال عملية قياس الشبيه على الشبيه والنظير على النظير فلا يطلق على هذا النوع اسم العلة إلا توسعاً؛ وما العلة إلا تفسير وتوضيح لهذه الأحكام.

أما الثاني: فالغاية منه استخراج العِلَل التي تُبَيِّنُ مدى انسجام القواعد النَّحْوية وتناسقها، والحكمة منها، وبيان فضل اللغة العربية على بقية اللغات[٢٦].

فالأول توصيف للغة ولظواهرها -كما سمعها النحويون من أهلها- بعيداً عن التعليل والتفسير، والنوع الثاني يتجاوز ذلك إلى البحث عن سبب كل قاعدة نحوية فإذا كان النوع الأول يبين لنا أن كل مفعول منصوب وكل فاعل مرفوع فالثاني يريد تعليل ذلك والبحث عن أسبابها، ومع مرور الزمن زاد الاهتمام بالعلة واتسعت دائرتها لذا جعلها الزَّجَّاجيُّ(ت:٣٣٧هـ)، على ثلاثة أضرب:

١- العلة التعليمية أو العلة الأولى:

" وهذا النوع من العلة هو الذي يعلِّمنا اللغة العربية من خلال قياس شبيه الكلام على شبيهه والنظير على النظير، فلما استحال أن نسمع من العرب كل كلامها كان القياس واجباً[٢٧].

مثاله: جلس، فهو جالس، منه عرفنا اسم الفاعل وقِسنا عليه كلَّ فعل ثُلاثيّ، مثل: ضرب، فهو ضارب، قتل فهو قاتل، وكذلك يُعَدُّ من هذا النوع الجواب عن سؤال السائل: بِمَ نصبتم زيداً في هذه الجملة: إنَّ زيداً جالسٌ؟ الجواب: نصبنا بـ إنَّ: لأنها تنصب الاسم وترفع الخبر، وكذلك الجواب عن سؤال من سأل: بِمَ رفعتم الفاعل في مثل هذه الجملة: ذهب محمد؟ الجواب: لأنه فاعل والفاعل مرفوع هذا ما سمعناه وتعلمناه[٢٨].

وما هي سوى وسيلة تعليمية بقياس النظير على النظير والشبيه على الشبيه والصيغ غير المسموعة من العرب على المسموعة منها، وهذا من أبسط مبادئ تَعَلُّمِ أيَّةِ لُغَةٍ في العالم، ويَدْخُلُ ضمن هذا النوع أيضاً معرفة القواعد الأولية البسيطة والاكتفاء بها، ورد ما يزيد على ذلك إلى السماع.

2- العلة القياسية أو العلة الثانية:

هي التي تأتي بعد العلة التعليمية أي التي تتعمَّقُ في الإجابة أكثر وتبحث عن روابط أوسع، مثالُه: لِمَنْ أراد أنْ يستفسر عن وجوب نصب الاسم ورفع الخبر بإنَّ وأخواتِها، فيكون الجواب؛ لأنَّها وأخواتِها تضارع الفعل المتعدي إلى مفعول، فعملت عمله بسبب المضارعة والمشابهة، فالخبر المرفوع بمنزلة الفاعل، والاسم المنصوب بمنزلة المفعول به المقدم على فاعله[٢٩].

ومن هذا النوع أيضاً علة بناء بعض الأسماء فما كان مبنياً لمشابهته الحرف، مثل: مَنْ الموصولية، وذلك نحو قولهم: من في البيت أطعمته، وهي هنا مبنية لأنها شبيهة بالحرف؛ لأنها كبعض الاسم لاحتياجها إلى الصلة، بعض الاسم لا يمكن إعرابه، لذا فكل اسم شابه الحرف أو تضمن معناه بني وما خلا منهما فهو معرب[٣٠].

3- العِلَّةُ الجَدَلِيَّةُ أو العِلَّةُ الثَّالِثَةُ:

وهي التي تأتي بعد العلة التعليمية والقياسية، أي بعد ما مرَّ آنفاً من بيان للنوعين السابقين[٣١].

مثل سؤال السائل: من أيّ جهةٍ شابهت إنَّ وأخواتُها هذه الأفعالَ؟ وبأيّ نوع من الأفعال كان التشبيه؟ ولماذا شبهتموها بالأفعال التي تأخر فاعلها وتقدم عليه المفعول؟ فأيُّ إجابةٍ عن هذه الأسئلة يُعَدُّ من العِلَل الجَدَلِيَّة[٣٢].

والفارق بين العِلَل الثلاثة باعتبار الغاية منها: العلة التعليمية لتبسيط القواعد النَّحْوية والواقع اللغوي، والعلة القياسية لرغبة النُّحَاة في طرد الأحكام، والعلة الجدلية لجعل الظواهر والقواعد والعِلَل منطقية[٣٣].

أرى أنَّ هذه الأنواعَ الثَّلاثة ليست سوى مستويات يُرَاعَى فيها حالُ الشخص السائل، أو الباحث عن أسباب هذه القواعد والقوانين، فالمبتدئ الذي ليس لديه علم باللغة العربية تناسبه العلة التعليمية؛ لأنَّها تصف الظواهر اللغوية ولا تتجاوزها؛ والمتوسط الذي

25. محمد بن سهل ابن السَّرَّاج، **الأصول في النَّحْو**، تح: عبد الحسين الفتلي (بيروت؛ مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٩٩٦م)، ٣٥/١.
26. ابن السَّرَّاج، **الأصول**، ٣٥/١.
27. الزجاج، **الإيضاح**، ٦٤.
28. المصدر نفسه، ٦٤.
29. المصدر نفسه، ٦٤.
30. علي بن الحسين الباقولي، **شرح اللمع**، تح: إبراهيم أبو عباة (السعودية؛ منشورات جامعة الإمام سعود، د. ط، ١٩٩٠م)، ١٩٣.
31. المصدر نفسه، ٦٥.
32. المصدر نفسه، ٦٥.
33. أبو المكارم، **أصول التفكير النَّحْوي**، ١٧٢.

لديه إلمام بالعربية وبعض قواعدها تناسبه العلة القياسية، أمَّا الباحث المتخصص في اللغة العربية فيهتم بالعلة الجدلية؛ لأنَّه -غالباً- يريد الغوص في أعماق هذا العلم والبحث عن طرائفه ونوادره، وحلِّ بعض مشكلاته، ووصف بعضها.

إذَنْ، العلة عند ابن السَّرَّاج نوعان: علة، وعلة العلة، ويمكن-بقليل من التجَوُّز-أنْ نقول: وهي عند الزَّجَّاجي أيضاً علة، وعلة العلة، وعلة علة العلة، بإضافة قسم ثالث على ما عند ابن السَّرَّاج، كما يرى ابن جِنِّي (ت: ٣٩٢هـ) بأن علة العلة ليست سوى شرح وتفسير وتتميم للعلة الأولى[٣٤]، كذلك العلة الجدلية ليست سوى تعمق في شرح وتفسير للعلة الأولى والثانية.

وإلى هذا التصنيف ذهب ابن مضاء(ت:٥٩٢هـ)، فالتي كانت عند الزَّجَّاجي تعليمية فهو سمَّاها الأوائلَ، والقياسية سماها الثواني، والجدلية سماها الثوالث، فهو وإنْ وافق الزَّجَّاجي في التقسيم الثلاثي للعلة إلَّا أنَّه لم يقبل منها سوى الأوائل وبعضاً من الثواني مع أنَّه قد صرَّحَ بوجوب إسقاط العِلَل الثواني والثوالث من النَّحْو[٣٥]، وزاد على الزَّجَّاجي بأنْ قَسَمَ العِلَلَ الثوانيَّ إلى أقسام ثلاثة:

الأول: مقطوع بصحته، مثاله: أن يحرك الحرف لمنع التقاء الساكنين، أكرمِ الضيوف.

الثاني: غير البين، أي لا يقطع بصحته فهو أقلُّ درجةً من الأول، مثاله: إعراب الفعل المضارع لشبهه بالاسم.

الثالث: مقطوع بفساده، مثل: اعتلالهم لتحريك نون ضمير جماعة المؤنث لسكون ما قبله، نحو: ضربْنَ، وتسكين ما قبل النون لاتصاله بالنون، فصار كل حرف علة ومعلولاً، فهذا فساده ظاهرٌ[٣٦].

ويلاحظ أن تقسيم ابن السراج للعلة تفريق بين الأحكام النحوية وعللها، وهذا يُحسب له إذ يُعد أول من تطرق لهذا الموضوع، ولما جاء الزجاجي ووجد هذا التقسيم الثنائي لديه أضاف إليه قسماً آخر فجعله ثلاثياً فبذلك قد صنَّف العلة تصنيفاً حقيقياً للعلة حين قال بالعلة الجدلية والقياسية والتعليمية، فالتعليمية ليست إلا توصيفاً للقواعد النحوية وإقراراً لها والقياسية تعليل بسيطٌ لها، والجدلية تعليل عميق وفحص دقيق لِحِكَمِهَا وبحث طويل عن أسبابها، ولم يخرج ابن مضاء عما لدى الزجاجي من التقسيم الثلاثي إلا تفصيلاً لبعض أنواعه ورفضاً لأكثرها، فقد جعل العلل القياسية وقد سماها الثواني ثلاثة أقسام وهذا تطور للعلة وتفصيل جديد لها فقد أفرز هذا النوع إلى: ما لا يمكن رفضه أو إنكاره لأنه مقطوع بصحته مثل التحريك لالتقاء الساكنين، وإلى ما هو مشكوك في أمره لأنه غير بيّنٍ أو أقل قوة ودرجة من الأول لعدم وضوحه وقد ضرب لهذا النوع علة إعراب الفعل المضارع لشبهه بالاسم، وإلى ما هو مقطوع بفساده ومثل له بعلة تحريك نون جماعة المؤنث لسكون ما قبله، نحو: كتبْنَ.

وهذا التصنيف للعلة في غاية الأهمية، ولكنه ذو فائدة محدودة ما لم يتم فرز العلل في جميع أبواب النحو بناء عليه، وحينئذ سيعود بالنفع على طلبة العلم والباحثين والمختصين، حيث يمكن تأليف كتاب نحوي قائم على العلل التعليمية للمبتدئين، وآخر قائم على العلل القياسية للباحثين في الشأن اللغوي، وآخر قائم على العلل الجدلية للباحثين المختصين بالنحو العربي.

التقسيم الثاني: تصنيف العلة حسب طبيعة تأثيرها.

يعود هذا التصنيف إلى ابن جِنِّي الذي جعل العلة على ضربين:

الأول: العلة الموجبة: وهي العلة التي تكون موجبة للحكم، نحو: رفع المبتدأ، ونصب المفعول به...إلخ، وأكثر العِلَل من هذا الصنف وعليه مَقادُ كلام العرب عند ابن جِنِّي[٣٧].

الثاني: العلة المجوزة: هي التي تجعل حكماً ما جائزاً مع جواز غيره، ويسميه سبباً يجوّز ولا يوجِبُ[٣٨]، مثاله: أسباب الإمالة؛ لأنه رغم وجود أسباب الإمالة لك أن تترك إمالته، فهذا دليل على أن هذه العلة علة جواز لا علة وجوب[٣٩].

ومن أمثلة علل الجواز وقوع النكرة بعد المعرفة التي يتم بها الكلام، مثل: مررت بمحمد شابٍ صالحٍ، أو شاباً صالحاً، كلاهما جائز الأول على أن يكون بدلاً، والثاني على أن يكون حالاً، فكان وقوع النكرة بعد المعرفة في مثل هذا الموضع مجوّزاً للحال والبدل، هذا هو ما يسميه علة الجواز[٤٠].

في الحقيقة هذا التصنيف للعلة –من ابن جِنِّي- ليس دقيقاً، لأنَّه إلى تصنيف الأحكام النَّحْوية أقرب منها إلى تصنيف العلة، ألا ترى أنَّه لو قلنا: إنَّ حكم نصب الفضلة واجب، وكذلك رفع الفاعل، ورفع المبتدأ، لكان أقرب إلى التصور والفهم، من قولنا: إنَّ علة نصب الفضلة ورفع المبتدأ والفاعل موجب لها، ولا سيما إذا علمنا أن علة نصب المفعول ورفع الفاعل هي للفرق بينهما عند كثير من النُّحَاة، وأنَّ علة رفع المبتدأ مختلف فيها، فالبصريون يرفعونه بالابتداء، والكوفيون بالجزء الثاني(أي بالخبر) فأنَّى لهذه العِلَل أن تُوجب أو تجوّزَ بل مردهما إلى السماع من العرب، والتركيب النَّحْوي، واستقامة المعنى، والله أعلم.

وقد صنَّفَ ابن جِنِّي في العِلَل تصنيفاً آخر فقال: "إنَّ علل النَّحْويين على ضربين: أحدهما واجب لا بدّ منه؛ لأنَّ النَّفس لا تطيق في معناه غيره. والآخر ما يمكن تحمله؛ إلا أنَّه على تَجَشُّمٍ واستكراه له"[٤١].

---

34. ابن جِنِّي، الخصائص ٩٨/١.
35. أحمد ابن مضاء، **الرد على النُّحَاة**، تح: شوقي ضيف (مصر، دار الفكر العربي، ط١، ١٩٤٧م)، ١٥١-١٦٤.
36. ابن مضاء، **الرد على النُّحَاة**، ١٥٢-١٥٩.
37. عثمان، ابن جِنِّي، **الخصائص**، تح: محمد علي النجار(مصر؛ دار الكتب المصرية، د. ط، د. ت) ١٦٤/١.
38. المصدر نفسه، ١٦٤/١.
39. المصدر نفسه، ١٦٤/١.
40. المصدر نفسه، ١٦٥/١.
41. المصدر نفسه، ٨٨/١.

مثال الأول: أن نقلب الألف واواً لانضمام ما قبلها، وأن نقلبها ياءً لانكسار ما قبلها، سائر، سويئر، وقرطاس، قريطيس.

مثال الضرب الثاني: ميزان، وميعاد، مِوزان، وموعاد[42].

ويلاحظ أن ابن جني تناول العلة اللغوية لا العلة النحوية فمعظم أمثلته من أبواب الصرف لا النحو.

التقسيم الثالث: تصنيف العلة حسب طبيعة العلة نفسها

يعود هذا التصنيف إلى السُّيُوطِي حينما جعل العلة على ضربين:

الأول: البسيطة.

وهي التي يكون التَّعْلِيل بها لسبب واحد أو وصف واحد، مثل: علة الاستثقال، والمشابهة[43].

ومن هذا النوع أيضاً علة الاضطرار حين اتخذ بعض النحاة من استيفاء الأسماء الآحاد للحركات الثلاثة (الضمة، الفتحة، الكسرة) علة في استعمال أصول هذه الحركات إعراباً في التثنية والجمع، وذلك بعد أن عجز العرب عن استعمالها لجؤوا مضطرين إلى أصولها(الألف والواو والياء)[44].

ومن هذا النوع أيضاً علة بناء قبلُ وبعدُ وهي علة شبه، وعلة اختيار الضم دون الفتح والنصب وهي علة أمن اللبس[45]، ومعظم علل النحو من هذا النوع.

الثاني: العلة المركبة.

وهي التي تتكون من عدة أسباب أو أوصاف، مثاله: تعليل قلب كلمة(ميزان) بوقوع الواو ساكنة بعد كسرة، فالعلة هنا لسببين معاً: سكون الواو، ووقوعها بعد كسرة، فلو وقعت ساكنة، وليست بعدها كسرة لما وقعت علة، وكذلك لو جاءت بعدها كسرة وهي متحركة لما جازت، بل وقعت علة لمجيء الوصفين في آن واحد[46]. وهذا المثال الذي ذكره السيوطي لا علاقة له بالعلل النحوية إنما هي علة صرفية صرفة متعلقة ببنية الكلمة لا ببنية الجملة. ومن أمثلته في النحو ما علل به سيبويه حمل النصب على الجر في التثنية والجمع حين اعتل بأنه بعد أن استوفى الرفع والجر الأحرف لم يكن بد من حمل النصب إما على الرفع أو الجر، فكان إلى الجر أقرب منه إلى الرفع؛ لأن الجر يختص بالأسماء، والرفع مشترك بين الاسم والفعل، فلما كان الجر مختصاً بالاسم كان حمل النصب عليه أولى[47]، والعلة هنا علة الضرورة، وعلة الأولى، أي لو قلنا بعلة الضرورة فقط لما صحَّ؛ لجواز أن يحمل على الرفع فهنا يأتي دور الوصف الثاني وهو اختصاص الجر بالاسم فكان حمل النصب عليه أولى، فلولا مجيء هذان الوصفان أو العلتان معاً لبطل هذا التعليل، إذ يُعَدُّ أحدهما مكملاً للآخر.

التقسيم الرابع: تصنيف العلة حسب الصور المستعملة فيها

إذا كانت هذه التقسيمات الثلاثة قد تناولت مضمون العلة من حيث طبيعتها، وتأثيرها، والغاية منها، فإن هناك تقسيماً آخر أخذت من الإطار الخارجي والأشكال التي جاءت في سياقها معياراً لها[48].

وقد وصف الدينوري(ت: ٢٨٢هـ) هذه العلة بأنها كثيرة التفرعات والشعب غير أنه جعل المشهور منها على أربعة وعشرين نوعاً[49]:

علة السماع، علة التشبيه، علة الاستغناء، علة الاستثقال، علة الفرق، علة التوكيد، علة التعويض، علة النظير، علة النقيض، علة الحمل على المعنى، علة المجاورة، علة الوجوب، علة التغليب، علة الاختصار، علة التخفيف، علة الأصل، علة الأولى، علة الدلالة على الحال، على الإشعار، على التضاد، على التحليل[50].

ويمكن القول بأن التقسيمات السابقة للعلة لا تخرج عن هذين الضربين:

الأول: علل بها يُعرفُ كلام العرب، تدخل فيها العِلَل التعليمية والأولى، وما فصله ابن مكتوم، ونحو ذلك.

الثاني: علل لا يُعْرَفُ بها كلام العرب، وإنَّما لبيان الحكمة منها، ويدخل فيها العِلَل القياسية والثواني وعلل الجدل وعلة العلة، ونحوها.

42 المصدر نفسه، ٨٨/١.

43 عبد الرحمن بن أبي بكر السُّيُوطِي، **الاقتراح في أصول النَّحْو**، (دار البيروتي، ط٢، ٢٠٠٦م)، ١٠٤.

44 محمد بن الحسن الرضي، **شرح كافية ابن الحاجب**، وضع حواشيه: إميل بديع يعقوب (بيروت؛ دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٨م)، ٧٥/١.

45 الباقولي، شرح اللمع، ٢٠١.

46 المصدر نفسه، ١٠٤.

47 سيبويه، الكتاب، ١٧/١.

48 أبو المكارم، **أصول التفكير النَّحْوي**، ١٩٦.

49 السُّيُوطِي، **الاقتراح**، ٩٨.

50 السُّيُوطِي، **الاقتراح**، ٩٨-١٠٠.

تصنيف العلة عند المحدثين:

وهناك تصنيفان آخران للعة:

الأول: تقسيم تمام حسان، جعلها على ضربين:

١- الأول العلة الصورية وهي التي كانت في عصر النشأة الأولي، وتتمثل في قولهم: "هكذا قالت العرب"، وهذه المقولة ليست تعليلاً، بل هي منهج منافٍ للمنهج التَّعْلِيلي، ومحاولة لتجنُّب العلة.

٢- الثاني: العلة الغائية: وهي "من تركة التحول الذي أصاب النَّحْو من طابع البحث العلمي إلى طابع التلقين التعليمي"[٥١]. وهي كل ما يمكن تسميته علة على الحقيقة، ولا يخرج تقسيمه هذا عما لدى ابن السراج كما مرّ آنفاً، ولم تنل العلة من اهتمام المحدثين من الباحثين في الشأن اللغوي كما نالت من اهتمام المتقدمين من النحاة.

الثاني: تقسيم خالد بن سليمان الكندي، قسمها حسب إمكان القبول والرد أربعة أقسام[٥٢]:

1- علل يقينية مقطوعة بثبوتها، وهي تشمل العِلَل الأولى التعليمية، وبعض العِلَل الثواني القياسية إنْ وردت سماعاً عن العرب، منها: علة الوجوب، علة الجواز، علة المشاكلة، وغيرها.

2- علل ظنية لا يُجْزَمْ بصحتها، ولكن يرجحها الحس والذوق والعقل البشري، منها: الاستثقال، المجاورة، الاختصار، التخفيف، وغيرها.

3- علل شكية لا يمكن للمرء ترجيح صحتها ولا بطلانها، منها: التوكيد، الأصل.

4- علل واهية من الصعب قبولها بالعقل أو الحس، مثل: علة التشبيه، علة الاستغناء، النظير، النقيض، المعادلة، الفرق، وغيرها.

ويرى بأن الأمثلة الواردة في الأقسام الأربعة يمكن أن تكون أحياناً يقينية، وأحياناً ظنية، وأحياناً واهية، وذلك حسب الدليل، ويغلب على الظن أنَّ هذا التصنيف مأخوذ من تصنيف ابن مضاء حين قسَّم العلل الثواني إلى ثلاثة أقسام: مقطوع بصحته وغير بَيِّنٍ ومقطوع بفساده.

وأضيف تصنيفين جديدين على ما سبق:

التصنيف الأول من حيث الاتفاق والاختلاف.

- **الأول: العلل المتفق عليها.**

ويُعَدُّ من هذا النوع علل بناء بعض الأسماء مثل: من الاستفهامية والشرطية. وهذه العلة هي الأصل في بناء الأسماء فيقرر الباقولي هذه العلة العامة لكثير من الجزئيات بقوله: "فما بني منها فلأنه يشابه الحرف، وحقيقة هذا الكلام أن الأسماء المبنية منها ما بني لتضمنه معنى الحرف...ومنها ما بني لمشابهته الحرف"[٥٣].

وكذلك علة كم الاستفهامية والخبرية وقد أشار سِيْبَوَيْه إلى هذه العلة، كما أشار ابن عُصْفُور(ت:٦٦٩هـ) إلى أنّ (كم) بنيت لأنّها أشبهت رُبَّ في أنّ كليهما للافتخار والمباهاة[٥٤].

الثاني: العلل المختلف فيها.

وما أكثرها في النحو، ولا يخلو باب من أبواب النحو منها، ومن أشهرها اختلاف النحاة في علة رفع المبتدأ والخبر، اتخذ جمهور البصريين[٥٥] علة سِيْبَوَيْه في رفع المبتدأ، فقالوا بارتفاع المبتدأ بالابتداء، إلا الزَّجَّاج فقد ذهب إلى أنّ المبتدأ مرفوع بما في نفس المتكلم من معنى الإخبار[٥٦]، وذكر ابن الورَّاق بالإضافة إلى علة الجمهور علة أخرى، وهي الحمل على الفاعل[٥٧].

وأما الكوفيون فقد قالوا: إن المبتدأ مرفوع بالخبر، والخبر مرفوع بالمبتدأ؛ أي ترافعا لأن كل واحد منهما محتاج إلى الآخر، فعمل كل واحد في صاحبه الرفع[٥٨].

---

51. تمام حسان، **الأصول** (القاهرة؛ عالم الكتب، ٢٠٠٠م)، ١٦٧.
52. خالد بن سلميان مهنا الكندي، **التَّعْلِيل النَّحْوي في الدرس اللغوي** (عمان الأردن؛ دار المسيرة، ط١، ٢٠٠٧م)، ١٤٠.
53. الباقولي، **شرح اللمع**، ١٩٣.
54. علي بن مؤمن ابن عُصْفُور، **شرح الجمل** (بيروت؛ دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٨م) ،١٤١/٢
55. محمد بن يزيد المُبَرِّد، **المُقْتَضَب**، تح: محمد عبد الخالق عضيمة (القاهرة؛ وزارة الأوقاف، ط٣، ١٩٩٤م)، ١٢٦/٤، و الحسن بن أحمد أبو علي الفارسي، **الإيضاح**، تح: حسن شاذلي فرهود (ط١، ١٩٦٩م)، ٢٩، محمد بن عبد الله ابن الورَّاق، **علل النَّحْو**، تح: محمود جاسم الدرويش (الرياض السعودية؛ مكتبة الرشد، ط١، ١٩٩٩م)، ٢٦٣، وعبد الرحمن بن محمد الأنباري، **الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين**، تح: جودة مبروك(القاهرة؛ مكتبة الخانجي،ط١، ٢٠٠٢م)، ٤٢، وعبد الله بن الحسين العُكْبَرِيّ، **اللباب في علل البناء والإعراب**، تح: محمد عثمان (القاهرة؛ مكتبة الثقافة الدينية، ط١)، ٩٧.
56. ابن الورَّاق، **علل النَّحْو**، ص٢٦٤، وابن يعيش، **شرح المفصل**، ٨٥/١
57. ابن الورَّاق، **علل النَّحْو**، ص٢٦٥.
58. الأنباري، **الإنصاف**، ص٤٤، وأسرار **العربية**، ص٧٥-٧٦.

واختار ابن عُصْفُور التعري من العوامل اللفظية علة لرفع المبتدأ والخبر، مخالفاً بذلك البصريين والكوفيين[٥٩]. وكذلك علة إعراب الفعل المضارع فقد اختلف النحاة فيها[٦٠].

التصنيف الثاني من حيث الأحكام الرئيسية والأحكام الثانوية.

الأول: العلل الأصلية أي التي أتى بها النحاة لتعليل المسائل الأصلية.

من أمثلته علة رفع المبتدأ والخبر، وعلة رفع الفاعل، وعلة نصب المفعول به، وعلة نصب المستثنى، فهذه أمهات الأبواب وتحت كل منها جزئيات صغيرة لها عللها، ولكنها دون هذا النوع من حيث الأهمية. وهذا النوع من العلل لا يمكن الإعراض عنها وخاصة التعليمية والقياسية منها لمن أراد أن يتعلم شيئاً من العربية من العوام.

الثاني: العلل الفرعية أي التي أتى بها النحاة لتعليل المسائل الفرعية.

من أمثلته علة جعل الأصل في الخبر الإفراد، وعلة جواز تقديم الخبر على المبتدأ في بعض المواضع، وغيرها من العلل التي جاءت للتفسير الأحكام الجزئية التي تتشعب وتتوسع في كل باب من الأبواب النحوية. وهذا النوع من العلل يهم المختصين لا العوام.

الخاتمة:

وفي ختام هذا البحث إليكم أهم النتائج والتوصيات التي توصل إليها:

1- العلة قديمة قدم النحو ومرت بمراحله وواكبت تطوره وازدهاره.

2- يُعَدُّ ابن السراج أول من تكلم في أنواع العلة والزجاجي ثاني اثنين بعد ابن السراج.

3- وأخذت العلة عند ابن جني حيزاً كبيراً في كتابه الخصائص وقد قسمها تقسيمين مختلفين.

4- استفاد ابن مضاء من ابن جني والزجاجي في تصنيف العلة وتقسيمها رغم معارضته لهما في قبول كثير من العلل.

5- لم ينل تقسيم العلة عند المحدثين اهتماماً يذكر، وما ذكروه على قلته لم يخرج مما لدى المتقدمين من التقسيمات المتنوعة.

6- دراسة النحو وفق العلل في غاية الأهمية؛ فذكر أسباب القواعد النحوية وعللها يساعد على ترسيخها في ذهن المتعلمين، وخاصة إذا اكتفينا بالعلل الثواني أو القياسية للمبتدئين.

7- فرز العلل النحوية وفق تصنيف الزجاجي من خلال بحث جاد ورصين سيعود بالنفع والفائدة على المختصين والمبتدئين معاً.

8- تصنيف العلل إلى علل متفق عليها، وعلل مختلف فيها، واستقراء العلل وفرزها بناء على هذا التصنيف يحتاج إلى دراسة شاملة للمصادر النحوية القديمة.

9- أوصي بتأليف كتاب في النحو حسب العلل وذلك من خلال تصنيف العلل في كل باب من أبواب النحو إلى علل رئيسية وهي التي ذكرها النحاة في المسائل الرئيسية والقواعد الأساسية، وعلل فرعية وهي التي ذكرها النحاة في المسائل الثانوية والجزئيات الصغيرة.

الاستفادة من هذه التقسيمات للعلة النحوية لتسهيل النحو وتيسيره للمتعلمين، وذلك من خلال ذكر العلل المناسبة في المواضع الصحيحة دون إفراط أو تفريط.

المصادر والمراجع

الأزهري، خالد، ***شرح التصريح على التوضيح***، تح: محمد باسل عيون السُّود، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط١، ٢٠٠٠م.e

إلياس، منى، **القياس في النَّحْو**، دار الفكر، ط١، ١٩٨٥م.

الأنباري، عبد الرحمن، **الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين**، تح: جودة مبروك، مكتبة الخانجي، القاهرة-مصر، ط١، ٢٠٠٢م.

البَاقُولي، أبو الحسن علي بن الحسين، **شرح اللُّمَع**، تح: إبراهيم أبو عباة، منشورات جامعة الإمام سعود، السعودية، د. ط، ١٩٩٠م.

أبو البقاء العُكْبَرِيّ، عبد الله بن الحسين، **التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين**، تح: عبد الرحمن، بن سليمان العثيمين، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٨٦م.

59 ابن عُصْفُور، **شرح الجمل**، ١/ ٣٤٠-٣٤١.

60 الأنباري، **الإنصاف**، ص٤٣٤، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع**، تح: عبد العال سالم مكرم (بيروت؛ مؤسسة الرسالة، د. ط، ١٩٩٢م)، ١/ ٥٤.

ابن جني، عثمان، ***الخصائص***، تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، د. ط، د. ت.

الجوهري، إسماعيل. **الصحاح**. بيروت؛ دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٨٧م.

ابن حزم، علي بن أحمد. **رسائل ابن حزم**. تح: إحسان عباس. بيروت؛ المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ١٩٨٣م.

حسان، تمام. **الأصول**. القاهرة؛ عالم الكتب، ٢٠٠٠م.i

حسان، تمام. **اللغة العربية معناها ومبناها**. المغرب دار البيضاء؛ دار الثقافة،١٩٩٤م.

الخطيب، محمد عبد الفتاح. **ضوابط الفكر النَّحْوي**. القاهرة؛ دار البصائر، د.ط، ٢٠٠٦م.

دمشقية، عفيف. **تجديد النَّحْو العربي**. طرابلس لبنان؛ معهد الإنماء العربي،١٩٨١م.

الرضي الإستراباذي، محمد. **شرح الكافية**. وضع حواشيه إميل بديع يعقوب. بيروت؛ دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٨م.

الزجاجي، عبد الرحمن بن إسحاق. **الإيضاح في علل النَّحْو**. تح: مازن المبارك. بيروت؛ دار النفائس، ط٣، ١٩٧٩م.

ابن السَّرَّاج، محمد بن سهل. **الأصول في النَّحْو**. تح: عبد الحسين الفتلي. بيروت؛ مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٩٩٦م.

سعيد الملخ، حسن خميس. **نظرية التَّعْلِيل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين**. الأردن؛ دار الشروق، ط١، ٢٠٠٠م.

سِيْبَوَيْه، عمرو بن عثمان. **الكتاب**. تح: عبد السلام هارون. القاهرة؛ مكتبة الخانجي، ط٣، ١٩٨٨م.

السيرافي، الحسن بن عبدالله. **أخبار النحويين البصريين**. تح: طه محمد الزيني- محمد عبد المنعم خفاجي. القاهرة؛ مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط١، ١٩٥٥م.

السُّيُوطِي، عبد الرحمن بن أبي بكر. **الاقتراح في أصول النَّحْو**. دار البيروتي، ط٢، ٢٠٠٦م.

السُّيُوطِي، عبد الرحمن بن أبي بكر. **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع**. تح: عبد العال سالم مكرم. بيروت؛ مؤسسة الرسالة، د. ط، ١٩٩٢م.

الشريف الجُرْجاني. **التعريفات**. تح: إبراهيم الأبياري. بيروت؛ دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٠٥هـ.

العبيدي، شعبان عوض. **التَّعْلِيل اللغوي في كتاب سِيْبَوَيْه**. بنغازي ليبيا؛ دار الكتب الوطنية، ط١، ١٩٩٩م.

ابن عُصْفُور، علي بن مؤمن. **شرح جمل الزَّجَّاجي**. بيروت؛ دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٨م.

العُكْبَرِيّ، عبد الله بن الحسين. **اللباب في علل البناء والإعراب**. تح: محمد عثمان. القاهرة؛ مكتبة الثقافة الدينية، ط١.

أبو علي الفارسي، الحسن بن أحمد. **الإيضاح**. تح: حسن شاذلي فرهود. ط١، ١٩٦٩م.

الكندي، خالد بن سلميان مهنا. **التَّعْلِيل النَّحْوي في الدرس اللغوي**. الأردن؛ دار المسيرة، ط١، ٢٠٠٧م.

المبارك، مازن. **النَّحْو العربي العلة النَّحْوية نشأتها وتطورها**. بيروت؛ دار الفكر، ط٣، ١٩٨١م.

المُبَرِّد، محمد بن يزيد. **المُقْتَضَب**. تح: محمد عبد الخالق عضيمة. القاهرة؛ وزارة الأوقاف، ط٣، ١٩٩٤م.

مبروك سعيد، عبد الوارث. **في إصلاح النَّحْو العربي**. الكويت؛ دار القلم، ط١، ١٩٨٥م.

ابن مضاء، أحمد بن عبد الرحمن. **الرد على النُّحَاة**. تح: شوقي ضيف. القاهرة؛ دار الفكر العربي، ط١، ١٩٤٧م.

أبو المكارم، علي. **أصول التفكير النَّحْوي**. القاهرة؛ دار غريب، ط١، ٢٠٠٦م.

المهيري، عبد القادر. **نظرات في التراث اللغوي العربي**. بيروت؛ دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٩٣م.

ابن الورَّاق، محمد بن عبد الله. **علل النَّحْو**. تح: محمود جاسم الدرويش. السعودية؛ مكتبة الرشد، ط١، ١٩٩٩م.

ابن يعيش، يعيش بن علي. **شرح المفصل للزَّمَخْشَري**. بيروت؛ دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠١م.

Kaynakça

el-Ezheri, Halid. *Şerhul-tesrih ala el-tewdih*. Muhakkık: Muhammed Basil Uyun el-Suud. Dârul-kutubul-ilmiyye Beyrut-Lubnan, 1. Baskı miladi. 2000

İlyas, muna. *el-Kıyas fi el-nahiv,* Dârul-fikr .1. baskı miladi.1985.

el-Enbari, Abdurrahman. *el-insaf fi mesail el- hilafi beyne el- basriyyin vel-kofiyyin*. Muhakkik: Cevdet mebrük, Mektebetül-haneci Kahire mısır 1. Baskı.2002.

el-Bakuli ebul hesen bin hüseyn. *Şerh el- lüma*. Muhakkık. İbrahim ebu ubat menşurat cameet el- imam suud, el- suudiye. b.s.y.

ebu el-beka el- ukberiyyi. Abdullah bin el- hüseyn. *el-tebyin an mezahib el- nahviyyin*. Muhakkik. Abdurrahman bin süleyman el- üseymin, Dârul ğarb el- islami.1. baskı.1986.

İbni ceni, osman. *el-hasais*. Muhakkik: mahammed Ali en-neccar, Dâr'ul kütübul mısriyye. b.s.y.

el- cevheri, ismail. *el-sihah*. Beyrüt; Dâr'ul ilim lil melain 4. Baskı.1987.

İbn Hazm, Ali bin Ahmed. *İbn Hazm'ın risaleleri*. Mühakik: İhsan Abbas. Beyrut; Arap Çalışmaları ve Yayın Vakfı, 1. Baskı, 1983.

Hassan. Tammam. *el-Usul*. Kahire; Kitapların Alemi, 2000.

El-Luğatul El-arabiyye Manaha ve Mebneha. El-Mağrib; Dâr-ül Beyda.1994.

el-Khatib, Mohamed Abdel-Fattah. *Dawabit El-Fikr En-Nahvi*. Kahire; Dâr Al-Besair, b.s.y, 2006.

Dimeşkiye, Afif. *Tecdid en-Nehv-ül Arabi*. Lübnan Trablus. Meahad el-İnmaa el- Arabi. 1981.

er-Radi El-İstrabazi, Muhammed. *Şerh-ül Kafiye*. Lübnan Beyrut, Dâr-ül Kutub el-İlmiyye.1.Baskı.1998.

ez-Zeccaci, Abdurrahman b. İshak. *el-İdah Fi İlelil en-Nahvi*. Muhakkik; Mazin el-Mübarek.Beyrut Dâr-ün Nefais.3.Baskı1979.

İbn el-serraç, Muhammed b. Sehl. *el-usul fi el-nehvi*. Muhakkik; Abd el-Hüseyin el-fetli. Beyrut. Müessestu el-risale. 3. Baskı. 1996.

Said Al-Melah, Hasan hamis. *Nazariyet el-taalil fi El-nahv el-Arabi beyne el-kudamaa ve el-mühaddisin*. Ürdün; Dâr Al-şuruk, 1. baskı, 2000.

Sibeveyhi, Amr bin Osman. *eL-kitap*. Muhakkik: Abd al-Salam Harun. Kahire; el-hanci, 3. baskı, 1988.

el-Sirafi, El-Hasan bin Abdullah. *Ehbar en-neheviyyin el-basriyyin*. Muhakkik: Taha Muhammad el-Zini - Muhammad Abdel-Muneim Hafaci. Kahire; Mustafa mektebe ve matbaa Al-Babi Al-Halebi ve evladuhu, 1. baskı, 1955.

el-Suyuti, Abd El-Rahman bin Ebi Bekir. *el-İktirah fi usul en-nevih*. Dâr el-Beyruti, 2. baskı, 2006.

el-Suyuti, Abd El-Rahman bin Ebi Bekir. *Hume el-Hevami fi şerh cem el-cevami*. Muhakkik: Abd el-al Salim Mukrem. Beyrut muessestu el-risale. 1992.

El-Şarif El-Curcani. *El-t-Tarifat*. Muhakkik.: İbrahim El-Abyari. Beyrut; Dâr el-Kitab Al-Arabi, 1. baskı, 1405.

El-Ubadi, Şaaban Avad. *el-Taalil el-Luğavi fi Kitap sibeveyhi*. Bingazi, Libya; Dâr el-kutup elvataniyye 1. baskı, 1999.

İbn Asfur, Ali bin Momen. *Şerh cumel el-zucaci*. Beyrut; Dâr el-kutub el-İlmiyye. 1.baskı, 1998.

el-Ukbari, Abdullah bin el-Hüseyin. *el-libab Fi ilel el-bina ve el-irab*. Muhakkik: Muhammed Osman. Kahire; mektebet el-Sekafa el-Diniyye, 1. Baskı.

Ebu Ali el-Farsi, el-Hasan bin Ahmed. *el-İdah*. Muhakkik: Hasan Şazli Ferhud. 1. baskı, 1969.

el-Kindi, Halid bin Süleyman Muhanna. *el-Talil El-Nehvi Fi El-Ders El-Luğavi*. Ürdün; Dâr el-Museyyere, 1. baskı, 2007.

el-Mübarek, Mazin. *en-Nevih el-Arabi el-İlle en-Neheviyye Neşetuha ve tedevurruha*. Beyrut; Dâr Al-Fikr, 3. baskı, 1981.

El-Muberrid, Muhammed bin Yezid. *el-Muktadeb*. Muhakkik: Muhammed Abd el-Halik Azimah. el-Kahire; vezaret el-Evkaf, 3. baskı, 1994.

Mebrük Said, Abdel Varis. *Fi İslah el-Nehiv*. El-Kuveyt; Dâr El-Kalem, 1. baskı, 1985.

İbn Mudhaa, Ahmed bin Abdurrahman. *el-Red ala en-Nuhat*. Muhakkik: Şavki Daif. Kahire; Dâr el-Fikr el-Arabi, 1. baskı, 1947.

Ebu'l-Mekarim, Ali. *Usul el-Tefkir en-Nehevi*. Kahire; Dâr Garib, 1. Baskı, 2006.

Al Muheiri, Abdülkadir. *Nezarat Fi el-Turas el-Luğavi el-Arabi*. Beyrut; Dâr el-Ğarb el-Islami, 1. baskı, 1993.

İbnü'l-Verrak, Muhammed bin Abdullah. *İlel el-Nehevi*. Mhakkik: Mahmud Casim el-Derwish el-suudiyye; Mektebetu Er-Ruşud, 1. Baskı, 1999.

İbnYaiş, Yaiş b. Ali. *Şerh el-Mufassel El-Zamahşari*. Beyrut; Dâr el-Kutub El-İlmiyye, 1. Baskı, 2001.